الفعل الكلامي في النص التراثي "نص الفرزدق أنموذجًا" دراسة تداوليَّة

د/ راشد بن حمود الفراج (*)

الملخص

يتحدث هذا البحث عن الفعل الكلامي في النص التراثي "نص الفرزدق أنموذجًا" ويدرسه دراسة تداوليَّة، منطلقًا من تقسيم الفعل الكلامي إلى فعل لفظي، وإنجازي، وتأثيري، ومن حيث وظيفته، وأخلاقيَّاته.

الكلمات المفتاحية: الفعل الكلامي، النص التراثي، الاستلزام الحواري، الافتراض المسبق، وظيفة اللغة

Research summary

This research discusses the speech act in traditional texts, using "The Text of Al-Farazdaq" as a model, and examines it from a pragmatic perspective, through dividing the speech act into locutionary, illocutionary, and perlocutionary acts, focusing on its function and ethics.

Keywords: Speech act; traditional text; conversational implicature; presupposition; function of language.

(*) وزارة التعليم بالمملكة العربية السعودية رئيس فريق التقويم والاعتماد المدرسي في مكتب الوسط ببريدة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعدُ:

العلوم الإنسانية اليوم أصبحت هي التي تقود الحركة المعرفيَّة في مختلف مجالاتها، كالأدب، والتاريخ والسياسة... وغيرها، ثم تحوَّل هذا التقاطع والتشابه إلى البحث في التداخُل والتكامُل بين حقولها المعرفيَّة، وهذا التداخُل والتكامُل أدى إلى اتجاه جديد يرى في اللغة والعمل الإبداعي وظيفة تواصليَّة اجتماعيَّة يجب أن تدرس على هذا الأساس، وكما هو معلوم أن اللغة وظيفتها الأساسيَّة التواصُل، فانبثقت على هذا الأساس عدَّة تيارات تدرس هذه اللغة سواء من جهة أو من عدة جهات، ومن هذه التيارات الدرس التداولي الذي يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه في الحقيقة، والتداوليَّة عند (ماري ديلر وفرانسوا ريكاناتي) هي: "دراسة استعمال اللغة في الخطاب، قصدنا تأكيد طابعه الخطابي"[(١)]، أي دراستها حال استعمالها واستخراج سمات هذا القول (الخطاب)، وتأكيد فاعليته، بل لها معنى أوسع عند محمود نحلة فهي: "دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصُل؛ لأنه يشير إلى أن المعنى ليس متأصلًا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولًا إلى المعنى الكامن في كلامٍ ما"[(٢)]. وخلاصة ذلك أنها تدرس اللغة عند التواصل وأثرها على السامع، وكثير من الدراسات العربية عرفت في هذا الدرس الجديد وما أنتجته في الحقل المعرفي، ويعدُّ الهولندي (هانسون) أول من قسم درجات التداوليَّة بطريقة نظاميَّة ومستقلَّة حتى الآن؛ فقد بيَّن: أهم

(١) التداولية من أوستن إلى فوغمان: ١٨.

(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٤.

التفريعات التي وسعتها التداوليَّة في امتداداتها، وقدَّم في ١٩٧٤ تصورًا متميزًا، وهو الأول من نوعه، يهدف من خلاله إلى توحيد أجزائها، وقد قسَّم التداوليَّة إلى ثلاث درجات: تداوليَّة الدرجة الأولى: دراسة الرموز

الإشاريَّة ضمن استعمالها. تداوليَّة الدرجة الثانية: دراسة تعبير القضايا في ارتباطها بالجملة المتلفَّظ بها في الحالات الهامة. تداوليَّة الدرجة الثالثة: نظريَّة أفعال الكلام(١). وما يهمنا بعد هذه المقدمة هذه الدرجة.

نظرية أفعال الكلام:

الفعل الكلامي يمثل عين المنهج التداولي ومن تجليات الفكر اللساني وهو النظرة التفاعليَّة الاجتماعيَّة عن اللغة. فهو ينطلق من تحويل الأقوال إلى أفعال ضمن سياقات خاصَّة(٢)، و"اللغة عينها تعدُّ سلوكًا وفعلًا وليست أداةً للتعامل والتفكير والاختيار ونقل المعلومات وحسب"(٣)، فالفعل التداولي: "قِيَم وصفية، ثقافية وباختصار، غير صيغية"(٤)، ومن الجديد إدخال (مفهوم القصديَّة) في هذه النظريَّة، و"تتجلَّى القصديَّة بالخصوص، في الربط بين التراكيب اللغويَّة، ومراعاة غرض المتكلم، والمقصد العام من الخطاب في إطار مفاهيمي مستوفٍ للأبعاد التداوليَّة للظاهرة اللغويَّة"(٥). ومن أبرز رواد هذا التيار (فيتغنشتاين)(٦) في مرحلته المتأخرة في كتابه "بحوث فلسفية"، و(رايل) في كتابه "بحوث فلسفية" أيضًا، و(أوستين) يعدُّ رائد نظريَّة أفعال الكلام الذي أعطى لائحة طويلة بهذه الأفعال التي تخص النظرية في محاضراته التي نُشرت في كتاب: "كيف ننجز

(١) ينظر: المقاربة التداولية: ٣٨.

(٢) ينظر: التداولية والشعر: ٣٢.

(٣) التداولية والشعر: ٣٢.

(٤) معجم السيميائية: ٢٠٣.

(٥) التداولية عند العلماء العرب: ١٠.

(٦) ينظر: المقاربة التداولية: ٢٠.

الأشياء بالكلمات"، فهي الميلاد الحقيقي لنظرية أفعال الكلام.

ويعد الفعل الكلامي هو الأساس الذي تنهض عليه جميع الأفعال اللغوية، وقد عد سيرل أن الجملة اللغوية تتزامن إنجازيًّا لأربعة أفعال وهي: الفعل التلفُّظي، والفعل القضوي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري[١]، ما سيأتي لاحقًا إن شاء الله تعالى.

ولا بدَّ من التنبيه إلى اختلاف التسميات للفعل القولي مثل: الفعل التلفُّظي، والفعل التعبيري. والفعل القولي كما يُعرِّفه شكري المبخوت بأنه: "بِنيَة نحويَّة معجميَّة مرشَّحة للإنجاز المقامي"[٢]. وفعل القول هو قول شيءٍ ما، كالنطق بجملةٍ معيَّنة لها معنًى محدَّد وإحالة معيَّنة وفقًا لأعراف نحويَّة متَّفَق عليها[٣].

وقد ميَّز (أوستين) فعلَ القول بثلاثة جوانب وهي[٤]:

- الفعل التصويتي، يتشكل التلفظ من سلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة.
- الفعل التأليفي (التركيبي)، تأليف ما أنتجه النسق الصوتي من مفردات لغةٍ ما، طبقًا للقواعد النحويَّة.
- الفعل الإحالي (المعنى الدلالي)، ربط الجمل للمتكلم ومستمع معين (متكلم ومخاطب)[٥].

وهذه العناصر ترتبط مع بعضها ارتباطًا وثيقًا لدرجة يصعبُ معها فصل عنصر عن آخر فصلًا تطبيقيًّا، إذ نلاحظ أن تحقيق الفعل الإحاليِّ يتوقَّف على تحقيق الفعل التأليفي، ولا يتحقَّق الفعل التأليفي إلا بتحقيق الفعل التصويتي. فهذه أفعال متلازمة يؤدِّي تحقيقُ واحدٍ منها إلى تحقيقها كلها، وهذا التحقيق الكلي هو ما

---

(١) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية: ١٠٩.

(٢) دائرة الأعمال اللغوية: ١٦٧.

(٣) ينظر: التداولية مقاصد وآداب: ٣٢.

(٤) ينظر: المرجع السابق نفسه.

(٥) ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة، الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو: ٩٧.

يُمثل تحقيق الفعل التلفُّظي. وخلاصة ذلك يجب أن يكون الفعل القولي فعلًا تصويتيًّا أي متلفَّظًا به صحيح التركيب والدلالة. وكل فعل تلفظي على الباحث أن يبين المتكلم والمخاطب بعد استخراج الأفعال الكلاميَّة؛ لمعرفة مدى العلاقة بينهما، فيكون الحوار بينهما متسلسلًا يتكلم أحدهما وينصت الآخر والعكس، فهما مُرسِل ومُستقبِل في آنٍ واحدٍ(١)، أما الفعل القضوي فهو: "مجموع معاني مفردات الجملة مضمومٌ بعضها إلى بعض في علاقة إسناد"(٢)، ويتضمَّن "ما يُعرف في علم الدلالة الفلسفي التقليدي بمحتواه الخبري"(٣). إذا استُخرجت المضامين من الموضوع فكل قضية فيها سلسلة من الأفعال الكلاميَّة تخدم قضية كبيرة(٤)، فتكون ملتحمة لتكون موضوعًا ومضمونًا، وهناك تحليل تداولي ومصطلح إجرائي يسهم في إيضاح مدلول الخطاب هو الافتراض المسبق: يمثل معلومات مسبقة تكون متضمَّنة في الملفوظ، ويُستعان بها في تأويل الخطاب، فهو يخصص الصلة بين النظام والفعل الكلامي(٥).

أما الفعل الإنجازي فهو: الفعل الذي يتم إنجازه في قولٍ ما، وهو الفعل الإنجازي الحقيقي؛ إذ إنه عمل ينجز بقول (ما) عند المتكلم. وهذا المقصود من نظريَّة أفعال الكلام، ويقصد به ما يؤديه الفعل اللفظي من وظيفة الاستعمال كالأمر، والنصح، والإرشاد، والتحذير، والتهديد...(٦)، ويشترط (أوستين) لتحقق هذا المعنى ضرورة توفر السياق العُرفي لغةً ومحيطًا وأشخاصًا(٧). واقترح أوستين تصنيفًا للأفعال

(١) ينظر: فعل القول من الذاتية: ٢٩.

(٢) في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة: ٩٩.

(٣) النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ٢٣٦.

(٤) ينظر: المرجع السابق: ١٩٢.

(٥) ينظر: معجم السيميائية: ٥٥٧.

(٦) ينظر: قاموس التداولية: ٢٨-٢٩.

(٧) ينظر: البعد التداولي والحجاجي: ٥٦.

الكلامية، ثم أدخل (سيرل) تعديلاً على تصنيف (أوستين)، وجعله أكثر إحاطةً، وأكَّد أن الخطاب له استعمالات عديدة في اللغة، فهي عنده كما يلي: إما أن يخبر الناس عن كيفية الأشياء وهي الإخباريات، أو التأثير عليهم لفعل أشياء وتُسمى التوجيهات، وقد يُلزِم المتكلم نفسَه بفعل شيء وتدخل في الإلزاميات، وقد يُعبِّر المتكلم عن مشاعره ومواقفه النفسية أو مشاركاته الوجدانية مع المخاطب ويسمى هذا الاتجاه بالتعبيريات، وقد يكون هناك أفعال خاصَّة بملفوظات معيَّنة وتأتي غالبًا من فعل واحد، وغالبًا تكون هذه من مؤسسات لها الحق في إصدار الأحكام، وهذا القسم داخل في الإعلانيات(١). وكان تصنيفه الآتي(٢):

أولًا: التقريرات والإخباريات، يتعهَّد المتكلم فيها أن محتوى ألفاظه حقيقي وكلماته تطابق العالم الخارجي مثل الكلمات: أؤكد، أستنتج، أقرر، أفترض، أنكر، أصف، أخبر... إلخ.

ثانيًا: التوجيهيات والطلبيات، يحاول المتكلم دفع السامع إلى فعل شيء ما، لفظي أو غير لفظي مثل: يسأل، يتحدى، يطلب، يأمر، ينهى، يحذر، يهدد... فهنا التغيير يكون خارجيًّا من قِبل السامع بطلبٍ من المتكلم.

ثالثًا: الالتزاميات والوعديات والتعهدات، يُلزِم المتكلم نفسَه بعملٍ ما: أضمن، أتعهَّد، أعِدُ، أُقسِم، أكفُل، ألتزِم، أقبل... ويكون المتكلم نفسه هو الذي يلتزم بالقيام بعمل ما.

رابعًا: التعبيرات (المعبرات)، يعبر المتكلم عن موقفه تجاه حالة معيَّنة، وهو التعبير عن حالة نفسية يحدِّدها شرط صدق النية المتعلق بموقف يحدده المحتوى الخبري بشكل عام يركز على المشاعر والعاطفة مثل: يشكر، يعتذر، يهنئ،

---

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب (مقاربة تداولية): ١٥٨.

(٢) ينظر: القاموس الموسوعي التداولي: ٧٦، ينظر في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة: ٢٠٥.

يرحب، يرثي...

خامسًا: الإعلانيات والإيقاعات، هي أفعال يتغير العالم بعد نطقها إذ يغير المتكلم ظرفًا خارجيًّا مثل: أنا أستقيل، أنت مطرود، إصدار حكم من القاضي...

وبعد أن ذكرنا الفعل اللفظي والفعل الإنجازي، نذكر الفعل التأثيري ويُقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع(١)، يأتي بعد الفعل الإنجازي الذي يسبقه فعل القول، فإذا كان هناك فعل إنجازي فإنه يترتب عليه في الغالب آثار على مشاعر المخاطب أو أفكاره أو تصرفاته(٢)، وبعد معرفة تصنيف الفعل الكلامي نستخرج مقصد المتكلم منه، فقد يكون فعلًا كلاميًّا مباشرًا مثل: خذ المفتاح، أو غير مباشرٍ مثل: خذ المفتاح إن استعطت!

فيكون تعريفهما الآتي: **الفعل الكلامي المباشر:** هو كل فعل كلامي صريح في الدلالة على الغرض من الكلام إخبارًا أو طلبًا، وهي أفعال تدل عليها صيغ الجمل وأساليب التعبير الظاهرة، وتنجز هذه الأفعال قوة إنجازيَّة متضمَّنة في صيغ الجمل(٣)، أي لا مجال في فهمهما فهمًا عميقًا، فبمجرد النطق بها يقصد معناها الحرفي، كما في مثالنا السابق، خذ المفتاح، واذهب إلى فلان. والقسم الثاني، **الفعل الكلامي غير المباشر:** هو كل فعل كلامي مشتق من الفعل الكلامي المباشر، ومتولد عن استعمال أساليب وعبارات للدلالة على غيرها، و"تتحقق هذه الأفعال الكلاميَّة غير المباشرة بواسطة قوة إنجازيَّة مستلزمة مقاميًّا"(٤)، ومثاله: لو سأل أحدهم وقال: هل الفرزدق قائد؟ فأجاب أحدهم: الفرزدق يعد من فحول الشعراء، فالجواب غير ما طلب السائل، لكنه فهم من

(١) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص: ٥٥.
(٢) التداولية عند العلماء العرب: ٤٢-٤٣.
(٣) ينظر: قاموس التداولية: ٢٦.
(٤) التداولية مقاصد وآداب: ١٥٥.

الإجابة أن الفرزدق ليس قائدًا، وهذا ما يسمى بالاستلزام الحواري نُفصِّله في حينه إن شاء الله.

وإذا انتقلنا إلى(فان دايك) فقد عُني في كتابه النص والسياق بتطوير تداوليَّة أفعال الكلام عن طريق توجيهها من مجال الجملة عند (أوستين) إلى طريق النص ما سماه أفعال الكلام (الكبرى) ويريد به فعل الكلام الإجمالي الذي يؤديه منطوق الخطاب الكلي، أي يكون في الحوار أكثر من فعل إنجازي وسلسلة من الأفعال الكلاميَّة المختلفة وسمَّاها **تداوليَّة صغرى**، فهذه الأفعال تندرج تحت فعل كلامي كلِّي. وسماه **تداوليَّة كبرى**(١).

بعد هذه الجولة في التعريف بنظرية أفعال الكلام، نُنوِّه بأمر مهم: أن هذه النظرية انطلقت من اللغة العادية، وجاءت من اللغة الأجنبية، فعلينا الحذر كباحثين في تطبيقها في نصوصنا التراثية؛ لأن نصوص التراث عندنا لها مميزات لا يعرفها إلا مَن عرف السجل المعرفي، والسجل المعرفي أو ما يُسمى بالمعرفة المشتركة وهي: "جملة من الاعتقادات والتصورات والتقويمات عن الذات والغير والأشياء والمعاني، يشترك فيها المتكلم والمخاطب مع جمهور الناطقين"(٢). وهي عند طه عبد الرحمن أربعة أقسام: معرفة لغويَّة، ومعرفة ثقافية، ومعرفة عمليَّة، ومعرفة حوارية(٣). وتتكوَّن هذه المعرفة من خلال المعارف والأخبار التي يعلمها المخاطبون، فهي ضرورية لتعاون المتحاورين ونجاح التواصُل بينهم(٤). والسابقون من نُقَّادنا لم يُهملوا السجل المعرفي كأمثال ابن جني: "وكان القوم الذين خوطبوا بها أعرفَ الناس بسَعة مذاهبها وانتشار

(١) ينظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية: ٣١.

(٢) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ١٥٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ١٥٢.

(٤) ينظر: آفاق التداولية في النصوص النثرية: ٣٦٤.

أنحائها، جرى خطابهم مجرى ما يألفونه ويعتادونه منها، وفهموا أغراض المخاطب لهم بها على حسب عُرفهم وعاداتهم في استعمالها"[١]، فمن يحلل النص التراثي يجب أن يكون لديه الخبرة الكافية والمعرفة الرصينة في سياقات النص وملابساته، وأحوال المتكلمين، وبيئتهم، وثقافتهم، حتى يخرج بتحليل موفق ومصيب، وتقطف الثمرة المرجوة من ذلك.

النص التراثي: *"نص الفرزدق أنموذجًا"*

اخترنا النص الأول لتقدمه على النص الثاني، فورد في الكامل في اللغة والأدب للمبرد(٢٨٥هـ)، الذي يجعل ذهاب الفرزدق لراويته أبي شفقل، بينما النص الآخر يجعل الفرزدق يذهب إلى أصحابه.

١- النص الأول

حدثني بعض أصحابنا عن الأصمعي عن المعتمر بن سليمان عن أبي مخزوم عن أبي شفقل راوية الفرزدق، قال: "قال لي الفرزدق يومًا: امض بنا إلى حلقة الحسن، فإني أريد أن أُطلِّق النوار، فقلت: إني أخاف عليك أن تتبعها نفسك، ويشهد عليك الحسن وأصحابه، فقال: امض بنا. فجئنا حتى وقفنا على الحسن، فقال: كيف أصبحت يا أبا سعيد؟ فقال: بخير، كيف أصبحت يا أبا فراس؟ قال: تعلمن أن النوار مني طالق ثلاثًا، فقال الحسن وأصحابه: قد سمعنا، قال: فانطلقنا، قال: فقال الفرزدق: يا هذا، إن في قلبي من النوار شيئًا. فقلت: قد حذرتك، فقال:

نـدمتُ ندامـة الكُسـعي لمَّـا ... غَـدت منـي مطلقـة نَـوارُ

وكانـت جنتـي فخرجـت منهـا ... كـآدم حـين أخرجـه الضـرار

ولو أنـي ملكـت يـدي ونفسـي ... لكـان علـيَّ للقـدر الخيـارُ

---

(١) الخصائص: ٢٥٠/٣.

قال الأصمعي: ما روى المعتمر هذا الشعر إلا من أجل هذا البيت"[1].

٢- النص الثاني:

مجلس أبي عثمان المازني وقد قيل له: "لِمَ قلت روايتك عن الأصمعي؟ قال: رُمِيت عنده بالقَدَر والمَيْل إلى مذاهب أهل الاعتزال، فجئت يومًا وهو في مجلسه فقال: ما تقول في قول الله عز وجل ﴿ ﴾ فقلتُ: سيبويه يذهب إلى أن الرفع فيه أقوى من النصب في العربية لاشتغال الفعل بالمضمر وأنه ليس ههنا شيء هو بالفعل أولى، ولكن أبت عامة القراء إلا النصب، فنحن نقرؤها لذلك اتباعًا لأن القراءة سُنَّة. فقال لي: فما الفرق بين الرفع والنصب في المعنى؟ فعلمتُ مراده فخشيت أن يُغرَى بي النامة فقلت: الرفع الابتداء والنصب بإضمار فعل، وتعاميت عليه فقال: حدثني جماعة من أصحابنا أن الفرزدق قال يومًا لأصحابه: قوموا بنا إلى مجلس الحسن البصري، فإني أريد أن أطلِّق النوار ثلاثًا وأُشهده على نفسي. فقالوا: لا تفعل، لعل نفسك تتبعها وتندم، فقال: لا بد من ذلك، فمضوا معه، فلما وقف على الحسن قال له: أبا سعيد تعلمَنَّ أن النوار طالق ثلاثًا، قال: قد سمعته. فتبعَتْها نفسُه بعد ذلك وندم"[2].

توثيق النص

النص جاء عن طريق الأصمعي عن المعتمر بن سليمان عن أبي مخزوم وهذا ثابت في النصين[3]، واختلاف النصين فيمن ذهب مع الفرزدق هل هم أصحابه أو

---

(١) الكامل في اللغة والأدب: ١٠٣/١

(٢) طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار: ١٩٠، العقد الفريد: ١٣٥/٧، شرح مقامات الحريري: ٢٥٨/١، إكمال تهذيب الكمال ط: (العلمية): ٣١٠/٦

(٣) أمالي الزجاجي: ٨٨٢/٢، الكامل في اللغة والأدب: ١٠٣/١، طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار: ٩٠، العقد الفريد: ١٣٥/٧، شرح مقامات الحريري: ٢٥٨/١، إكمال تهذيب الكمال ط: (العلمية): ٣١٠/٦.

الراوية فقط. والاختلاف الآخر جاءت استشهادات النص من عدة طرق تخدم الوجهة المعرفيَّة للمؤلف وتؤيد توجهاته، والفعل الكلامي يدرس النص من جميع الجهات حتى يتسنى للقارئ كيف كان المؤلف يتعامل مع النصوص ويستشهد بها.

أتى النص شاهدًا على عدَّة سياقات من هذه السياقات مجلس المازني واستشهاده بهذه القصة للإجابة عن قِلة زيارته للأصمعي والنهل من علمه، وسبب ذلك اتهامه بالقَدَرية من قِبل الأصمعي بسبب البيت الذي يقول:

ولو أنـي ملكت يدي ونفسي لكان عليَّ للقدر الخيارُ

وسبب اتخاذ النص استشهادًا لذلك والمنحى الذي اتجه إليه هو أن ذاك العصر كانت القضية -القَدَرية والجَبْرية- فيه قائمةً، وقيل: إنها بدأت في أواخر عهد الصحابة، وتحديدًا في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، وهي المرحلة التي يعيش فيها الفرزدق، وألفت في هذه القضية الكتب مثل: الرد على القدرية لمقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ)[١].

أما السياق الآخر فقد سيق النص شاهدًا على مَن طلقوا أزواجهم وندموا بعد طلاقهم في بعض كتب التراث، وهناك سياقات عدَّة نُبيِّنها فيما يأتي:

النص الأول: (ذهب معه الراوية أبو شفقل إلى مجلس الحسن البصري)

أبو شَفْقَلٍ: "اسْمٌ؛ وهو كُنْيَةُ راوِيَةِ الفَرَزْدَقِ"[٢]

«الكامل في اللغة والأدب» (١/ ١٠٣):

"وحدثني بعض أصحابنا عن الأصمعي عن المعتمر بن سليمان عن أبي مخزوم عن أبي شفقلٍ راوية الفرزدق، قال: قال لي الفرزدق يومًا: امض بنا

---

(١) مؤلفاته: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٢/٥.

(٢) المحيط في اللغة: ٦/ ٧٩، مقاييس اللغة: ٤/ ٤٧، المحكم والمحيط الأعظم: ٦٠٦/٦، التكملة والذيل والصلة للصغاني: ٥/ ٤٠٤، لسان العرب: ٣٥٦/١١، القاموس المحيط: ١٠١٩.

إلى حلقة الحسن، فإني أريد أن أُطلِّق النوار، فقلت: إني أخاف عليك أن تتبعها نفسك، ويشهد عليك الحسن وأصحابه...

"طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار" (ص١٩٠):

"وَعَن الأصمعي عَن الْمُعْتَمِر بن سُلَيْمَان عَن أَبي مخزوم عَن راوية الفرزدق قَالَ: قَالَ لي الفرزدق يَوْمًا: امْضِ بِنَا إِلَى حَلقَة الْحسن، فإني أُرِيد أَن أُطلِّق النوار. فَقلت لَهُ: إني أَخَاف أَن تتبعها نَفسك وَيشْهد عَلَيْك الْحسن وَأَصْحَابه! قَالَ: انهض بِنَا. فَجِئْنَا ..."، وكان استشهاد المؤلف تحت موضوع أخبار النساء، النوار، وأبو شَفْقَل هو من ذهب إليه الفرزدق.

«العقد الفريد» (٧/ ١٣٥):

"وعن الأصمعي عن المعتمر بن سليمان عن أبي مخزوم عن راوية الفرزدق، قال: قال لي الفرزدق يومًا: امض بنا إلى حلقة الحسن، فإني أريد أن أُطلِّق النوار! فقلت له: إني أخاف أن تتبعها نفسك، ويشهد عليك الحسن وأصحابه. قال: انهض بنا...".

أتى هذا النص في العقد الفريد استشهادًا لأخبار النوار كما في طبائع النساء، والراوية هو من ذهب إليه الفرزدق أيضًا.

«شرح مقامات الحريري» (١/ ٢٥٨):

"فحدَّث أبو معقل راويته، قال: قال لي الفرزدق يوما: امض بنا إلى حلقة الحسن، فإني أريد أن أطلِّق النَّوار، فقلت: إني أخاف أن تتبعها نفسك، ويشهد عليك الحسن وأصحابه، قال: امض بنا..."، أما هذا النص فكان السياق والاستشهاد للفرزدق وبعض أخباره.

«إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال – ط العلمية» (٦/ ٣١٠):

"وقال المبرد: حدثني بعض أصحابنا عن الأصمعي، عن المعتمر بن سليمان، عن أبي مخزوم، عن أبي شَفْقَل راوية الفرزدق قال: قال لي الفرزدق

يومًا: امض بنا إلى حلقة الحسن...، فقلت: قد حذرتك.

فقال: [الوافر]

نـــدمتُ ندامـــة الكُســـعي لمَّـــا غَـــدت منـــي مطلقـــة نَـــوارُ

وكانـــت جنتـــي فخرجـــت منهـــا كـــآدم حـــين أخرجـــه الضـــرار

ولو أنـــي ملكـــت يـــدي ونفســـي لكـــان علـــيَّ للقـــدر الخيـــارُ

قال الأصمعي: ما روى معتمر هذا الشعر إلا من أجل هذا البيت، قال أبـو محمد بن السيد البطليوسي في كتابه "شرح الكامل": أراد الأصمعي أن المعتمـر كان قَدَريًّا يقول بالاستطاعة، وقيل: ظاهر البيت أن المعتمر كان ورعًا لا يروي الأشعار، فحمله على رواية هذا الشعر؛ لأن الفرزدق كان يؤمن بالقـدر"، هنـا الشاهد في إيراد هذا النص التعريف بالمعتمر بن سليمان بن طرخان(١).

النص الثاني: (ذهب معه أصحابه إلى مجلس الحسن)

«مجالس العلماء للزجاجي» (ص٢٢٤)

«١٣٤- مجلس الأصمعي مع أبي عثمان المازني قال: أخبرنا أبو جعفـر أحمد بن محمد بن رستم الطبري قال: حضرت مجلس المازني وقد قيل له: لِـمَ قلت روايتك عن الأصمعي؟ فقال: رُمِيت عنده بالقَدَر والمَيْل إلى مذاهب أهـل الاعتزال. فجئته يومًا وهو في مجلسه، فقال لي: ما تقول في قول الله عز وجل: ﴿ ﴾؟ فقلت: سيبويه يذهب إلى أن الرفع فيه أقوى من النصب فـي العربية لاشتغال الفعل بالمضمر؛ لأنه ليس ها هنا شيءٌ هو بالفعل أولى، ولكن أبت عامة القراء إلا النصب، ونحن نقرؤها كذلك اتباعًا، لأن القراءة سُنَّة. فقال لي: ما الفرق بين الرفع والنصب في المعنى؟ فعلمتُ مراده وخشيت أن يُغـرَى

(١) إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٣٠٩/٦.

العامة بي، فقلت: الرفع بالابتداء، والنصب بإضمار فعل. وتعاميت عليه. فقال: حدثني جماعة من أصحابنا أن الفرزدق قال يوما لأصحابه: قوموا بنا إلى مجلس الحسن البصري فإني أريد أن أُطلِّق النوار وأشهده على نفسي. فقالوا له: لا تفعل، فلعل نفسك تتبعها وتندم. فقال: لا بد من ذلك. فمضوا معه، فلما وقف على الحسن قال له: يا أبا سعيد، تعلم أن النوار طالقٌ ثلاثًا. قال: قد سمعت. وتتبعتها نفسه بعد ذلك فأنشأ يقول:

نـــدمتُ ندامـــة الكُســـعي لمَّـــا غَـــدت منـــي مطلقـــة نَـــوارُ

وكانـــت جنتـــي فخرجـــت منهـــا كـــآدم حـــين أخرجـــه الضـــرار

ولو أنـــي ملكـــت يـــدي ونفســـي لكـــان علـــيَّ للقـــدر الخيـــارُ

ثم قال: والعرب تقول: ((لو خيرت لاخترت))، تحيُّل على القدر، وينشدون: هي المقادير فلمني أو فذر... إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر"، النص هنا ساقه المازني لقلة روايته عن الأصمعي والسبب الحقيقي وراء ذلك اتهام الأصمعي له بالقدرية؛ "لأن الأصمعي جبري"[1]، والنص هنا جاء استشهادًا على ذكر مجالس العلماء عند الزجاجي، ومن ذهب إليه الفرزدق هنا هم أصحابه.

«التنبيهات على أغاليط الرواة، ص١٧»

"٤٥- وقد كان الأصمعي -دون أبي عمرو- شديد العصبية على جماعة من الشعراء لِعِلل سنذكرها عند ذكر ما نذكرهم به. فعِلَّة ذي الرمة مع اعتقاد ذي الرمة العدل وكان الأصمعي جَبْريًّا. وقيل لأبي عثمان المازني: لِمَ قلَّتْ روايتك عن الأصمعي؟ قال: رُميت عنده بالقَدَر... ونَدِم فأنشأ يقول:

نـــدمتُ ندامـــة الكُســـعي لمَّـــا غَـــدت منـــي مطلقـــة نَـــوارُ

وكانـــت جنتـــي فخرجـــت منهـــا كـــآدم حـــين أخرجـــه الضـــرار

(١) التنبيهات على أغاليط الرواة: ١٧.

ولو أنـــي ملكـــت يـــدي ونفســـي لكـــان علـــيَّ للقـــدر الخيـــارُ

ثم قال: العرب تقول: "لو خُيرت لاخترت" تحيُّل على القدر، وينشدون:

هـــي المقـــادير فلُمْنـــي أو فـــذرْ إن كنت أخطأت فلم يخطـــئ القـــدرْ

ثم أطبق نعليه، وقال: نِعم القِناع للقَدَري. فأقللت غِشيانه بعد ذلك"، اســـتدلَّ المؤلف بهذا النص على عصبية الأصمعي فـــي آرائـــه، وبـــيَّن كثيـــرًا مـــن أغلاطه(١)، والذي ذهب إليه في نصه أن من ذهب معه هم أصحابه.

«معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب» (٢/ ٧٦٤):

"وحدث المبرد قال: سمعت المازني يقول معنى قولهم «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» أي إذا صنعت ما لا يُستحَى من مثله فاصنع منه ما شئت وليس على ما يذهب العوام إليه، قلت: وهذا تأويل حسن جدًّا.

قال أبو القاسم الزجاجي، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن رســـتم الطبـــري قال: حضرت مجلس أبي عثمان المازني وقد قيل له: لِمَ قلَّـــتْ روايتـــك عـــن الأصمعي؟ قال: رُمِيت عنده بالقَدَر والمَيْل إلى مـــذاهب أهـــل الاعتـــزال..."، استشهد المؤلف بهذا النص تحت مظلة التعريف بالمازني رحمـــه الله، والـــذي ذهب إليه الفرزدق هم أصحابه.

وبعد أن وضحنا لِمَ استشهدوا بهذا النص، ننتقل لبيان الفعل القضوي، وقبـــل أن أدلف إليه أُبيِّن الفعل القولي للنصين كاملين، **ففي <u>النص الأول</u> الفعـــل التلفظـــي أكثر من فعلٍ:**

الفرزدق: قوموا بنا إلى مجلس الحسن البصري، فإني أريد أن أُطلِّق النَّوار وأُشهده على نفسي.

أصحابه: لا تفعل، فلعل نفسك تتبعها وتندم.

الفرزدق: لا بد من ذلك.

---

(١) ينظر: التنبيهات على أغاليط الرواة: ١٤-١٩

الفرزدق: يا أبا سعيد تعلمن أن النوار طالق ثلاثًا.

الحسن البصري: قد سمعت.

المستوى الإحالي، المتكلم والمخاطب: الفرزدق، أصحابه، الحسن البصري.

المستوى التركيبي: طلاق النوار.

النص الثاني

الفعل التلفظي أكثر من فعلٍ:

سائل مجهول: لِمَ قلَّتْ روايتك عن الأصمعي؟

المازني: رُمِيت عنده بالقَدَر...

الأصمعي: ما تقول في قول..؟

المازني: سيبويه يذهب إلى أن الرفع فيه أقوى من النصب لاشتغال الفعل بالمضمر..

الأصمعي: ما الفرق بين الرفع والنصب؟

المازني: فعلمت مراده، وخشيت أن يغري بي العامة، فقلت: الرفع...

الأصمعي: حدثني أصحابي...

الراوية: قال لي الفرزدق يوما: امض بنا إلى حلقة الحسن؛ فإني أريد أن أُطلِّق النوار.

أبو شفقل: إني أخاف أن تتبعها نفسك ويشهد عليك الحسن وأصحابه!

الفرزدق: امض بنا.

الفرزدق: كيف أصبحت يا أبا سعيد؟

الحسن البصري: بخير؛ كيف أصبحت يا أبا فراس؟

الفرزدق: تعلمن أن النوار مني طالق ثلاثًا.

الحسن وأصحابه: قد سمعنا.

الفرزدق: يا هذا؛ إن في قلبي من النوار شيئًا.

أبو شفقل: قد حذرتك.

المستوى الإحالي، المتكلم والمخاطب: سائل مجهول، المازني، الأصمعي، الفرزدق، أبو شفقل، الحسن البصري وأصحابه. المستوى التركيبي: ندرة النقل عن الأصمعي، وطلاق النوار.

الفعل القضوي الداخلي والخارجي

الفعل القضوي هو: "مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد"(١)، كما ذكرتُ في السابق، ويتضمَّن خبر الأفعال الكلامية وما تحتوي هذه الأفعال من إيماءات داخلية وخارجية (٢). إذا استُخرجت المضامين من الموضوع فكل قضية فيها سلسلة من الأفعال الكلاميَّة تخدم قضية كبيرة(٣)، فتكون هذه الأفعال متسلسلة تسلسلا منطقيًّا معنى ولفظًا، ويوجد هناك ما يسمى مدلول الخطاب الافتراض المسبق لهذه القصة، فهي معلومات مسبقة تكون متضمَّنة في الملفوظ، ويُستعان بها في تفسير النص، يستخرج من النص ذاته(٤).

الفعل القضوي الداخلي:

نجد هنا المعنى الصريح مشكلًا من الفعل القضوي والقوة الإنجازيَّة، فالمحتوى القضوي هو: نتاج الدلالة من ضم معاني مكوناتها فنجد من ضم هذه الكلمات معنى طلاق النوار من الفرزدق، والقوة الإنجازيَّة الحرفيَّة في الفعل الكلامي "تعلمن أن النوار مني طالق ثلاثًا" والدلالة الفعليَّة تكمُن في التغير والاستمرار، وهذا فعل كلامي مباشر.

الفعل القضوي الخارجي:

ما أسميه سبب ذكر النص، وهذا فعل قضوي خارجي فالمحتوى القضوي

(١) في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة: ٩٩.

(٢) ينظر: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ٢٣٦.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ١٩٢.

(٤) ينظر: معجم السيميائية: ٥٥٧.

هنا هو ندرة ما ينقله المازني عن الأصمعي، وبيان سبب ذلك وهي الإشكالية بين القَدَرية والجَبْرية، فكانت أغلب النصوص تنقله بهذا المعنى إثبات أن القَدَر له ثابت والعرب تؤمن به. كما جاء في النصوص السابقة. والفعل القضوي الخارجي يشمل ما كان النص شاهدًا عليه كأخبار النساء، ومجالس العلماء، وتعريف بالرجال مثل المعتمر بن سليمان، أخبار الفرزدق..

نستنتج بعد بيان المعنيَيْن الداخلي والخارجي أن النص يعتبر شاهدًا على إثبات القَدَر في أبيات الفرزدق رغم أنه لا يقصد ذلك في المعنى الداخلي الذي قصده المعنى الخارجي للنص، فالفعل الكلامي يبين لنا الفعل القضوي داخل النص والسياقات الخارجية للنص، ولننتبه من النصوص التي تُلوَى أعناقُها حتى تخدم مآرب الأشخاص وأهواءهم. وهو بعيد كل البعد عن ذلك، فيجب التثبت والتمحيص حتى لا نقع في المزالق والعوالق.

- الافتراض المُسبق للنص الداخلي، في النص اختلاف كبير بين الفرزدق وزوجته، مما جعله يذهب لأقرب الناس إليه سواء الراوية أو أصحابه.

الافتراض المسبق للنص الخارجي، تأزُّم الوضع في مسألة القَدَرية في ذلك الوقت. فالمسألة أخذت حيزًا؛ مما جعل الأصمعي يتهم المازني بالقَدَرية بقوله: "نِعم القناع للقَدَري" ومما جعل المازني يتخذ موقفًا بعد ذلك: "فأقلَلْتُ غشيانه بعد ذلك".

- **السجل المعرفي للنص**

السجل المعرفي هو السجل العام والديني والخاص لدى المتحاورين، يكون الباحث على اطلاع واهتمام بذلك، حتى يستنبط ما يدور حول النص وداخله، ليخرج بتحليل سليم موافق للصواب، ويكون ذلك من خلال النص، والزمن التاريخي للنص، ومعرفة سلوكيات ومهنة المخاطب والمتكلم؛ حتى يتسنى الوصول إلى الهدف المقصود، ومن هنا ننطلق لنستخلص من النصين ما يوحي

لنا به، ومن ذلك هناك مجالس يغشاها الطلاب وينهلون من علمائها، ويوجد حوار بين الطالب ومعلمه من حيث السؤال والجواب، وهي ليست خاصةً بطلاب العلم وإنما يوجد هناك من عامة الناس من يرتادها.

ويوضح لنا النصُّ تأزُّمَ القَدَرية في ذلك الوقت، وتنوع المشارب للعالِم بحيث يأخذ من كل علم شيئًا، فالمازني يأخذ من الأصمعي فالأول نحوي والثاني راوية لأشعار الشعراء، والذي اشتهر كتابه بذلك (فحولة الشعراء)، ويوجد مجالس غير مجالس العلم مثل مجلس الأصحاب، ومجالس القضاء، ونستخلص من النص أن الحياة الاجتماعيَّة فيها خلافات، منها الخلافات الزوجية التي ما زالت إلى يومنا هذا وهي قائمة، فهي أزلية اللون والطعم، ويوجد هناك مَن ينصح ويتدخَّل في الأمر وهو عُرف شرعي، فكان ممن نصح الفرزدق الراوي في النص الأول، وأصحابه في النص الثاني، وما زال موجودًا إلى يومنا هذا، وبأمر مقنن لجنة ما يسمى إصلاح ذات البَيْن بين المتزوجين.

ونستنتج كذلك أن الراوية لشعر شاعر أمر متعارف عليه في تلك العصور مثل: "مربع بن وعوعة بن سعيد بن ...كان راوية جرير وله يقول: أبشِر بطول سلامة يا مربع»[١]، ومحمد بن سهل راوية الكميت[٢]، وكذلك راوية المتنبي علي بن حمزة البصري[٣]... وغيرهم.

- ***تصنيفات سيرل[٤]:***

أولًا: التقريرات والإخباريات في النص:

---

(١) الإكمال لابن ماكولا: ٧/ ٢٣٤.

(٢) البيان والتبيين: ١/٦١.

(٣) ينظر: معجم الأدباء: ٤/١٧٥٤.

(٤) ينظر: القاموس الموسوعي التداولي: ٧٦، ينظر: الأفعال الإنجازية في البراجماتية في العربية المعاصرة: ٢٠٥.

نجد في نص المازني أخبارًا منها: "رُمِيت عنده بالقَدَر والمَيْل إلى أهل الاعتزال"، وقول الأصمعي: "حدثني..."، ونجد في نص الفرزدق تقريرًا في قوله: "فإني أريد"، "ولا بد"، من ذلك وهما تأكيد من المتكلم على ما يقصده وما يريده. وفي الإخبار" فمضوا معه"، "فجئنا حتى وقفنا على الحسن"، "ندمت ندامة الكُسعي"، فكل هذه الأفعال الكلامية تدل على التقرير والإخبار، والجمل الفعلية تدل على التغير في الأحوال، والجمل الاسمية تدل على الثبوت والاستمرار.

ثانيًا: التوجيهيات والطلبيات:

وفي التوجيهيات يوجه الأصمعي المازني بأسلوب الاستفهام: ما تقول في قول الله تعالى:..." حتى يوجهه إلى ما يريد، ويوجه الفرزدقَ (الراويةُ، أصحابُه) إلى فعل شيء ما، ويتخذ أسلوب الأمر، فهناك تغيير خارجي يريده المتكلم لإقناع المخاطب فيه بقوله: "قوموا"، "امض بنا"، "تعلمن أن النوار طالق مني ثلاثًا"، فالمتكلم يحاول دفع السامع إلى فعل شيء ما، لفظي أو غير لفظي... فهنا التغيير يكون خارجيًّا من قِبل السامع بطلبٍ من المتكلم.

ثالثًا: الالتزاميات والوعديات والتعهدات:

يُلزِم المتكلم نفسَه بعملٍ ما: أضمن، أتعهَّد، أعِدُ، أُقسِم، أكفُل، ألتزِم، أقبل... ويكون المتكلم نفسه هو الذي يلتزم بالقيام بعمل ما. هناك تعهد ضمني عند المازني وهو عدم الإتيان إلى الأصمعي بعد أن كان معه ما كان، ونجد أيضا الفرزدق هنا ألزم نفسَه بالطلاق بالفعل الكلامي: "أريد أن أُطلِّق وأُشهِد ذلك على نفسي"، وعهد على نفسه أن يُطلِّق النوار فكان ذا عقد وفك لقدرته على ذلك لكونه الزوج، وهو تعهد ظاهر. وهذا من نجاح الاتصال فلو كان لا يستطيع أن

ينفذ ما يقول فشل في الاتصال فيشترط (أوستين) في قانون اللباقة أن[١]:

١- يكون هناك إجراء عرفي له تأثير عرفي.
٢- تكون الظروف والأشخاص ملائمين.
٣- تنفيذ الإجراء بشكل صحيح.

فهنا التسلسل المنطقي موجود في النص، فهناك إجراء عرفي له تأثير على المخاطب، والظروف ملائمة بينهم، ونفذ الإجراء بشكل صحيح حيث إن الطلاق بيد الزوج وهو الفرزدق، وذهابه إلى القاضي هو الطريق الصحيح لإثبات هذه القضية الشرعية.

رابعًا: التعبيرات (المعبرات)

تعبيرات نفسية: هي التي تخصُّ وجدان المتكلم وتعبِّر عن حالته النفسية، ولا تقتضي مشاركة المتلقي[٢]. ولها عدة أنواع مثل: الإعجاب، التحمُّل الصبر، الامتنان..

التعبيرات هنا يُقصد بها -كما عرَّفنا بها سابقًا- أن يعبر المتكلم عن شعوره تجاه حالة معينة، وشرطها الصدق، بيَّن المازني تعبيرات نفسية مثل: "فخشيت، فتعاميت"، فكلها تدل على ما في الداخل وما يحسه من شعور، وعبَّر عنها بوضوح تام، وكذلك اتضح عند الفرزدق، فبعد طلاقه حدَثَ أنْ "تبعَتْها نفسُه بعد ذلك وندم"[٣]. فقال الفرزدق: "يا هذا إن في قلبي من النوار شيئًا"، واتضح هذا الشعور في هذه الأبيات:

نـــدمتُ ندامـــة الكُســـعي لمَّـــا غَـــدت منـــي مطلقـــة نَـــوارُ

(١) ينظر: التداولية مقاصد وآداب: ٣٨.
(٢) ينظر: في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة: ٢٣٣.
(٣) أمالي الزجاجي: ٨٨٢/٢.

وكانـــت جنتـــي فخرجـــت منهـــا كـــآدم حـــين أخرجـــه الضـــرار

ولو أنـــي ملكـــت يـــدي ونفســـي لكـــان علـــيَّ للقـــدر الخيـــارُ

فهي من التعبيرات الخاصة بالمتكلم وقد عبر عنها بوضوح، وبين ندمه في طلاقه، وأنه لم يكن الخيار الصحيح، فلذلك "راجعها، وماتت عنده"(١).

خامسًا: الإعلانيات والإيقاعات

الإعلانيات هي التي تصدر الأحكام التشريعية أو القانون وأحكامهـا بعـد نطقها يغير ظرفا خارجيًّا، فهي التي تُمارس من خلالها سلطة معيَّنة(٢). والفعل الكلامي الإنجازي المضمَّن في القول هنا هو فك العقد بين زوج وزوجته بمجرد أن تلفظ بهذا اللفظ فقط "أبا سعيد تعلمَنَّ أن النوار طالق ثلاثًا" أنها ويندرج ضمن إعلانيات عقود وعهود. فك عقد. وأشهد على الفعل الإعلانـــي قـــاضٍ يحكـــم بالشريعة الإسلامية، ويُعدُّ القاضي جهةً عُليا وهـــو هنـــا الحســـن البصـــري. والإعلان هنا بالطلاق أنجز فعلًا اجتماعيًّا، ولا ينطبق علـــى الفعـــل الكلامـــي السابق الصدق والكذب مثل أسلوب الخبر، ولا ينطبق عليـــه أيضًـــا الأســـلوب الإنشائي بمفهومه الأقل مثل استخدام أسلوب الاستفهام مفاده التوبيخ، أو أسلوب القسم مفاده النهي، وإنما أقوال إنجازيَّة تنجز فعلًا معينًا، وهذا الفعل له موضوع وثقل اجتماعي مثل ما رأينا عند الفرزدق، فالطلاق هنا يعني الانفصال التام عن الزوجة وليس لها حق بالمطالبة إلا بما يخص نفقة الأبناء، ولها الحق بالزواج، ولا يحق له الرجوع إليها إلا بعد زواجها من رجل آخر، فكلمة "طالق" أدت كل هذا المعنى الاجتماعي الإنجازي، وخلافه لو قال المتكلم: أقبل هذه المرأة لـــي، يكون قد أنجز فعلًا اجتماعيًّا وهو الزواج، فيدل على الارتباط والمودة والنفقـــة والألفة والأولاد والتربية والعشرة الزوجية...إلخ. فهي أفعال اجتماعيَّـــة عنـــد

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٥٠٣/١٠.

(٢) ينظر: في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة: ٢٠٤.

(أوستين)[١].

أخلاقيات فعل الكلام (الاستلزام الحواري، مبدأ التصديق)

الاستلزام الحواري

يعدُّ الاستلزام الحواري من أهم الجوانب في الدرس التداولي، وقد انطلق (جرايس) لإنشاء نظريته من ملاحظة مُفادها أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون[٢]، ويشترط لتحقيق الاستلزام الحواري المعطيات الآتية: المعنى الحرفي والسياق اللغوي، وغير اللغوي، والاهتمام بمبدأ التعاون[٣]، وأنوه قبل ذكر قواعد الاستلزام الحواري أن علماءنا لم يغفلوا عمَّا ذكر (جرايس) إلا أنها -المعطيات- كانت غير مرتبة ومقعَّد لها كما عند السكاكي فالاستلزام الحواري قريب من الأسلوب الحكيم في بلاغتنا حيث قال عنه: "لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع ما سلبه حكم الوَقور وأبرزه في معرض المسحور"[٤]، وعُرف الأسلوب الحكيم بـ"تلقي المخاطب بغير ما يترقب"[٥]، يحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهًا على أنه الأَولى بالقصد "أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله بمنزلة غيره"[٦]، وهذا نجده في سؤال الحسن: "كيف أصبحت يا أبا فراس؟

(١) ينظر: التداولية عند العلماء العرب: ٤٠.
(٢) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٢.
(٣) ينظر: التداولية بين النظرية والتطبيق: ٧٥.
(٤) مفتاح العلوم: ٣٢٧.
(٥) المرجع السابق: ٣٢٧.
(٦) المرجع السابق: ٣٢٧.

قال: تعلمن أن النوار مني طالق ثلاثًا"، هنا أجاب المخاطب بغير ما يترقب المتكلم أو السائل، لأهمية هذا الجواب عند الفرزدق، فالمعنى الحرفي هو طلاق النوار، أما الاستلزام الحواري فمفاده أنني لستُ بخير، وقواعد الاستلزام الحواري مستقاة من حكم كانط(١)، وأهم قواعد هذا المبدأ ما يأتي(٢):

١- قاعدة الكم: لا تتجاوز القدر المطلوب منك.

٢- قاعدة الكيف: لا تقل ما تعتقد أنه كذب.

٣- قاعدة الملاءمة: تكون الملاءمة مقبولة.

٤- قاعدة الصيغة (الجهة): الوضوح والإيجاز، والترتيب وعدم الغموض.

وقد تُنتهك هذه القواعد لدى المتكلم فيرسل خطابه ثم يستقبله المستمع فيفهمه اعتمادًا على القرائن اللفظية والمقامية والمعارف المشتركة بينهما(٣). وخلاصة القول: "أن الاستلزام الحواري معيار من أهم المعايير التداوليَّة، وهو يعتمد على السياق اللغوي وغير اللغوي، ثم على خرق مبادئ الحوار التي تستلزم معنًى جديدًا، يجب على المخاطب أن يُدركه، وعندئذ يستطيع أن يفهم مقصد المتكلم ليصل إلى الهدف من اللغة وهو التواصُل"(٤).

وعند تحليلنا لأي نص تراثي يجب علينا مراعاة مكانة المتكلم والمخاطب كما نوه بذلك (سيرل)(٥)، فالخطاب يختلف من الضابط إلى الجندي، ويختلف إذا كان كان من الجندي إلى الضابط، ومن الكبير إلى الصغير... ففي نص الفرزدق قصد في طلاقه للنوار الحسن ولم يقصد غيره، مناسبة الحال المقام، حتى في

(١) ينظر: المقاربة التداولية: ٥٦.

(٢) ينظر: نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس: ١٢-١٦.

(٣) ينظر: المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجًا: ١١٨.

(٤) التداولية بين النظرية والتطبيق: ٧٨.

(٥) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٢٣٣.

اصطحابه سواء أصحابه أو الراوية كانت الإشاريات الشخصية بينهم فيها مودة ونصح فناسب الحال والمقام هذه الألفة والصحبة، ولا شك أن مراعاة المكانة موجودة في تراثنا فقد أورد ابن الشجري حديثًا عن هذا الموضوع حيث يقول: "لأنك تستقبح أن تقول: أمرتُ والدي، كما تستقبح أن تقول: سألتُ غلامي"(١)، فهو عند (سيرل) ما يُسمى السلطة أو المكانة كما أسلفتُ. فالخطاب يختلف من الدرجة الأعلى إلى الدرجة الأقل، ومن الدرجة الأقل إلى الدرجة الأعلى، فمن المعروف "أن السلطة بمعناها العام هي الحق في الأمر، فهي تستلزم آمرًا ومأمورًا وأمرًا. آمرًا: له الحق في إصدار أمر إلى المأمور، ومأمورًا: عليه واجب الطاعة للآمر بتنفيذ الأمر الموجه إليه"(٢)، والفرزدق حينما أشهد الحسن على طلاقه؛ لأنه صاحب سلطة شرعية، فهو آمر، فلما تراجعت نفسه عن الطلاق وبيَّن ذلك فقال له الحسن: "واللهِ لئن رجعتَ لأرجمنَّك بأحجارك"(٣)، ويسوغ ذلك المكانة التي يعتليها وهي مرتبة القاضي الحاكم الآمر.

والمجتمع ليس على درجة واحدة سواء في المحددات الاجتماعيَّة، فالتفاعل بينهم يحدث على جميع المستويات وفي كل الظروف، والأفعال الكلاميَّة تعطي طرفي الخطاب الأهميَّة البالغة، حيث تتفاضل الأمكنة أو المؤسسات التي ينتمي إليها المتكلم أو المخاطب، فالمتكلم لا يرسل خطابه جُزافًا وإنما يضع بحسبانه العناصر السياقيَّة حول الموقف والظرف. لها سلطة عليه، تكمُن في إلزامه بالتقيد بأنظمتها العامة، من نظام صوتي، وصرفي، ومعجمي، ودلالي، وتركيبي، فعلى ذلك يستجيب في النهاية للغة وقوانينها(٤)، وهنا نجح النص في

(١) الأمالي لابن الشجري: ٤٢٤/١.

(٢) استراتيجيات الخطاب (مقاربة تداولية): ٢٢١.

(٣) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٥٠٣/١٠

(٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب (مقاربة تداولية): ٢٢٤-٢٢٥.

التواصل بين الفرزدق وأصحابه أو الراوية بناءً على قواعد الاستلزام الحواري، فنجد القاعدة الأولى وهي (قاعدة الكم) ألَّا تتجاوز القدر المطلوب منك، ففي رد الفرزدق هناك التزام في الردود فنجده يقول: "لا بد من ذلك"، و"يا أبا سعيد تعلمن أن النوار طالق ثلاثًا"، "امض بنا إلى حلقة الحسن؛ فإني أريد أن أُطلِّق النوار"، "كيف أصبحت يا أبا سعيد"، نجد فيما مضى من الأفعال الكلامية التزامًا في قاعدة الكم، فهو لم يتجاوز القدر المطلوب، ونجد ذلك عند الحسن "بخير، كيف أصبحت يا أبا فراس؟"، "قد سمعنا" فهذه الأفعال الكلامية تميَّزت بالإيجاز ولم تتجاوز الحد المطلوب في الحديث مع المتكلم. وننتقل إلى القاعدة الثانية وهي قاعدة الكيف: لا تقل ما تعتقد أنه كذب، ففي النص كاملًا لا يوجد هناك خبر أو إنشاء يعتمد على اعتقاد هذه الصفة، فالفرزدق صادق في مقصده، والناصح صادق في نصحه، والقاضي صادق في حكمه، ومما سبق نحكم على نجاح النصح في قاعدة الكيف التي تقتضي أن يكون المتكلم صادقًا ويمتلك البيِّنة على ما يقول، ثم ننتقل إلى قاعدة الملاءمة ويسميها بعضهم قاعدة المناسبة أو العلاقة، أو الصلة، أو الإفادة[1]، والمعنى لذلك كله أن يلائم المقالُ مقامَ المخاطب، أي عدم الخروج عن الموضوع إلا إذا كان هناك استلزام حواري مقصود لذاته، والقاعدة تقتضي أن يكون الإسهام في الحوار المتبادل بين المتكلم والمخاطب مناسبًا وملائمًا للحال والمقام، فحينما سأل الفرزدق عن حال الحسن ورد عليه الفرزدق: "كيف أصبحت يا أبا سعيد؟.. الحسن البصري: بخير؛ كيف أصبحت يا أبا فراس؟" فكانت المناسبة مناسبة للمقال إلا أن الفعل الكلامي الآخر خالف المناسبة في قوله: "تعلمن أن النوار مني طالق ثلاثًا" بعد سؤال الحسن عن حاله، في حين كنا نتوقع الإجابة بخير، لكن هذا الانتهاك يدل على أمر آخر، وهو المقصد الذي جاء به، وهو الطلاق، فهنا يستلزم حواريًّا أن الفرزدق ليس

(١) ينظر: الاستلزام الحواري: قراءة في تعدد المصطلحات: ٨٧.

بخير كما بيناه سابقًا، كما يقول سائل لآخر: كيف حال ابنك الصغير، يرد الآخر: المهم أن ابني الكبير بخير، فهنا المعنى الحرفي أن الابن الكبير بخير، والاستلزام الحواري يدل على أن الابن الصغير في حالة حرجة، استدللنا على ذلك من إجابته، فيكون الفرزدق قد أهمَّه هذا الأمر الذي جاء به إلى الحسن، وهناك دلالات عدة أنه ليس بحالة طيبة وجيدة، لأنه استعجل ممن أراد أن يأتوا معه إلى هذا المجلس، ولم يُتِح لهم الفرصة في الأخذ والرد معهم، وهنا ننوه بأهمية المقصدية في توجيه الفعل الكلامي فقد اهتم التداوليون بالقصد اهتمامًا بالغًا وجعلوا قصد المتكلم المعوَّل عليه في نجاح الاتصال من عدمه، والقصد من الكلام له أثر في توجيه الدلالات اللغويَّة للوقوف على المضمر منها، والنيات التي من ورائها، والرغبات التي تكمُن داخلها، والدوافع التي تحركها، تشكل قوة الدفع للتواصل الكلامي مهما كان تنوُّعها النفسي وكانت استراتيجيتها التداوليَّة[١]، فالمتكلم يدعو المخاطب لمعرفة غرضه من التواصُل فعندما أتكلم فأنا أحاول إيصال بعض الأشياء إلى مخاطبي بدعوته إلى التعرف على مقصدي من توصيل تلك الأشياء بالذات، وأتحصَّل على الأثر المنتظر عندما أدعوه إلى معرفة غرضي من تقديم هذا الأثر له، وما إن يتعرَّف مخاطبي على ما في غرضي الحصول عليه، حتى تتحقق النتيجة عمومًا"[٢].

وطه عبد الرحمن يؤسس للدلالة اللغويَّة على قصود المتكلمين، ويتخذ القصد الصورة العامة التالية: إن قول القائل لا يمكن أن يفيد شيئًا إلا إذا قصد القائل الأمور الثلاثة الآتية: أن يدفع قولُه إلى نهوض المخاطب بالجواب،

---

(١) ينظر: المعنى المضمر في الخطاب اللغوي العربي البنية والقيمة التنجيزية، مقاربة تداولية لسانية: ٤٩٧.

(٢) التداولية من أوستن إلى غوفمان: ١٣٩.

ويتعرف على قصده، ويكون انتهاضه بالجواب مستندًا إلى معرفته بـالمتكلم[١]، ونستند بعد أن بيَّنَّا أهمية القصدية على نجاح الفعل الكلامي عند الفرزدق الـذي نتج عنه جواب المخاطب بقوله: "قد سمعنا". والمخاطب بقوله هذا لـم يقصـد السماع فقط، وإنما شهدنا بذلك، وهذا يدخل في باب السجل المعرفـي الـديني. والسجل المعرفي الديني هو كل ما يخص المعارف الشرعية ويعرفها من ينتمي لهذا الدين، كأركان الإسلام، والفرائض، والسنن... وغيرها.

وبعد أن بينا قاعدة الملاءمة في المقام والحال إلى القاعـدة الأخيـرة فـي الاستلزام الحواري وهي قاعدة الصيغة (الجهة): الوضوح والإيجـاز، والترتيـب وعدم الغموض. وقد تعددت مصطلحاتها عند الدارسين مثل التعبير، والأسلوب، والشمولية، والوضوح، والطريقة، والتعبير، والكيفية[٢]، ويضع جـرايس لهـا أربعة شروط يقول فيها: "ليكن تدخلك واضحًا، ليكن تدخلك مـوجزًا، اجتنـب الغموض، اجتنب الالتباس"[٣]، والهدف من ذلك هو ضبط العمليَّة التخاطُبية، ولا يحتاج المخاطب للتأويل والتفسير، وفي الأصل هو الهدف الرئيس لقاعدة مبادئ التعاون، ألَّا يكون هناك عناء في التفسـير والتوضـيح؛ لأن أغلـب المشـاكل والأزمات من التفسيرات الخاطئة، فالنص هنا خالٍ من التعقيدات والتفسـيرات الخاطئة لوضوح المقاصد وهذا ما سنبينه في الآتي، ففي بداية الـنص ذهـاب الفرزدق كان لأمر منشود هو الطلاق من النوار، فبيَّن للمخـاطبين أنـه يريـد مجلس الحسن البصري، فلو قال مجلسًا وسكت لكان هناك غموض، لأي مجلس سيذهب، وكيف يتم إقناع المخاطب للذهاب معه، فالوضوح وذِكر اسم المجلـس أدى إلى تأكيد ما كان ينويه، مما جعل مخاطبه يبادر في النصيحة بأن لا يفعل.

---

(١) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٤٥.

(٢) ينظر: الاستلزام الحواري قراءة في تعدد المصطلحات: ٨٨.

(٣) اللسانيات الوظيفية: ٢٦.

ورد الحسن في النص كان خاليًا من الغموض.

فيكون النص نجح في التواصل على ميزان قواعد الاستلزام الحواري، فقد كان على قدر المطلوب من الكلمات والمفردات، والأفعال الكلامية كانت صادقة وملائمة للمقام والمقال، وواضحة وموجزة ومرتبة.

مبدأ التصديق

هذا المبدأ اختاره طه عبد الرحمن، وله قصب السبق في ذلك، وبعد قراءتي لهذا المبدأ وجدته صالحًا لتطبيقه على تراثنا، وكما هو معلوم فهو من سمى البراجماتية بالتداوليَّة، وله فضل كبير في إبراز نظريَّة أفعال الكلام في كتابه: "التداوليَّة عند العلماء العرب" دراسة تداوليَّة لظاهرة الأفعال الكلاميَّة في التراث اللساني العربي. فله قصب السبق في تطبيقها على التراث ومن هذا المنطلق وجد طه عبد الرحمن في أثناء مراجعته للاستلزام الحواري، والتأدب الأقصى (ليتش)[١]، ومبدأ التهذيب[٢]، بعض الثغرات والنقائص التي تشكو منها، فاقترح هذا المبدأ؛ ليسد هذا النقص سماه مبدأ التصديق، استمده من التراث الإسلامي، وصاغه على عبارة: "لا تقل لغيرك قولًا لا يصدقه فعلك"[٣]، وخلاصته أنه يقوم على عنصرين أساسيين أحدهما تبليغي؛ أن يصل الخطاب صادقًا دون تدليس، والآخر تهذيبي يتعلق بتطبيق قاعدة الصدق في الأفعال.

ويتفرع هذا المبدأ في جانبه التبليغي مفصلًا عند الماوردي في كتابه "أدب الدنيا والدين" وهي[٤]:

---

(١) جعل هذا المبدأ على ست قواعد(اللباقة، السخاء، الاستحسان، التواضع، الاتفاق، التعاطف)، ينظر: اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي: ٢٤٦

(٢) هذا المبدأ لروبين لاكوف، جعلت لهذا المبدأ ثلاث قواعد لا بد للمتكلم أن يتكئ على أحدها(التعفف، التخيير، والتودد)، ينظر: استراتيجيات الخطاب(مقاربة تداولية): ١٠٠

(٣) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٥٠.

(٤) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٤٩.

- أن يكون الكلام لهدفٍ إما أن يجلب نفعًا أو يدفع ضررًا.
- يكون في الوقت المناسب.
- يوجز على قدر حاجته.
- يتخير اللفظ الذي يتكلم به.

فهذه الشروط نجدها في النص الأول فهي إجابة المازني بسبب ندرة ذهابه للنهل من علم الأصمعي، وهي في النص واضحة، فالفرزدق ذهب لهدف وهو الطلاق، وذهب للحسن في وقت مناسب، وغلب الإيجاز في الحوار مع جميع الأطراف، وكانت الألفاظ لا يعتريها غرابة أو حوشية أو معقدة لدرجة يصعب فهمها، بل كانت مخيرة اللفظ وسهلة المخارج.

أما الجانب التهذيبي فيأتي في ثلاث قواعد(١):

- قاعدة القصد.
- قاعدة الصدق.
- قاعدة الأخلاق.

وما يهمنا هو الجانب التهذيبي الأخلاقي فمبحثنا يدرس أخلاقيات فعل الكلام.

قاعدة القصد

القاعدة تقول: في كل مرة تفحَّص قصدك قبل أن تقوله للغير، ونتيجة ذلك إصابة الهدف، فالقصد هو الذي يقود الخطاب إلى ما يريده المتكلم، وأن يكون واضحًا للغير، ولا تجعل المخاطب يحتاج لسؤالك، فإذا تابعنا الفرزدق نجد قصده واضحًا من بداية رحلته إلى أصحابه أو الراوية، ثم إلى الحسن وهو الطلاق.

قاعدة الصدق

(١) ينظر: المرجع السابق: ٢٥٠.

مفاد هذه القاعدة أن تكون صادقاً فيما تنقله إلى غيرك في قولك وفعلك، فهي تمارس ثلاثة مستويات، الصدق في الخبر والعمل ومطابقة القول في العمل(١). وصدقه كفيل بنجاح الفعل الكلامي، وهذا الصدق له شروط، أبرزها: العرف بين المتحاورين، أهلية المتكلم والمخاطب، مناسبة المقام، استعدادهما، صدق النية والمشاعر بينهما. فيرى (أوستين) مخالفتها إخفاقاً في الفعل الكلامي(٢)، فالعرف بين المتحاورين أن الرجل إذا أراد الطلاق يذهب للرجل المناسب والمكان المناسب، كما ذهب الفرزدق للحسن، وإجابة أصحابه أو راويته أو الحسن، يدل على كمال أهلية المتكلم الفرزدق، وأهليتهم، ومناسبة المقام، وصدق المشاعر بينهم جميعًا، فنجد مَن نصح بصدقٍ، ونجد مَن ذهب مع الفرزدق لِمَا يُكنُّه هؤلاء من صحبته والإذعان لأمره.

قاعدة الإخلاص

تعتمد هذه القاعدة على المودة مع الآخر متجردًا من أغراضه، فالمتكلم ليس له هدف أو غرض من المخاطب، فتقضي "أن يقدم المتكلم حقوق المخاطب على حقوقه، وليس هذا التقديم حطًّا من مكانة المتكلم وإضاعة لحقوقه؛ فلا يحط هذا التقديم من قدر المتكلم، لأن الحقوق ثابتة له وليست منتحلَة... كما تنبني على التأدب المتبادل... ويتجلى التبادل في التجرد من وعن الأغراض"(٣)، فتتكون المحبة والإخلاص بين الطرفين، وهذا ما وجدناه من نصح الأصحاب أو راويته، بألَّا يفعل، فقد يندم على هذا الطلاق، والطلاق كما هو معروف أثره من تشتت الأسرة والأبناء، وضياع الحقوق في الغالب، فكانت نصيحتهم خالصةً ليس فيها ما يشوبها أو أهداف مرادة وإنما ما يُكنُّون من صدق المشاعر

(١) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٥١.
(٢) ينظر: الاستلزام الحواري: قراءة في تعدد المصطلحات: ٨٥.
(٣) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٥٢.

لمنصوحهم، وإرادة الخير له.

وظيفة الفعل الكلامي في النص

نظريَّة الأفعال الكلاميَّة التي أسَّسها (أوستين) وأقام بنيانها (سيرل)، ووسع مداركها (جرايس) في مبدئه كانت النواة الأساسية لدراسة الحِجاج، وحِجاج الفعل الكلامي هو حِجاج لغوي مختص في اللغة دون غيرها، فهو يحمل وظيفة حِجاجيَّة، خاصة في البِنية جُملةً وقولًا، فتكون دراسة الوظيفة عن طريق الظواهر الصوتيَّة، والصرفيَّة، والنحويَّة، والدلاليَّة، والتداوليَّة[1]، فأن تسند الكلمات إلى بعضها وتحيل بها على مراجعها فيتحقق الفعل القضوي، فإذا استفهمتَ أو أمرتَ فأنت تحقق فعلًا إنجازيًّا، وإذا حققت فعلًا إنجازيًّا فهناك أثر على المخاطب فتدفعه إلى تعديل موقفه وعادته، فأنت بذلك أنجزت فعلًا تأثيريًّا، و(سيرل) حينما تحدث عن القصد والمواضعة، التي تعدُّ شرطًا أساسيًّا في كل عمليَّة كلاميَّة فهي تحمل في جوهرها إثباتًا وحجة تدل على قصد المتكلم ما يجعل الحجاج شرطه القصديَّة، وبناءً على ذلك يرتبط الفعل الكلامي الأدائي بالحِجاج من خلال الإنجاز. والأفعال الإنجازيَّة بحسب رؤيته[2] فالإخباريات الغرضُ منها نقل المتكلم لرؤية جديدة بدرجة متفاوتة من خلال قضية محددة تعبر عن هذه الرؤية وتعهده بصدق القضية المُعبَّر عنها، والغرض الإنجازي العام هنا هو التقرير، مثل النفي: قوته الإنجازيَّة تكمن في التقرير، والمباشرة في الجملة الاسمية وفي التوجيهيات غرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، والتأثير عليه ليفعل شيئًا معينًا، فحينما أوجه المخاطب فالمعنى الحقيقي أن أؤثر عليه ليفعل ما أريد، أو أقنعه بما أريد، أو أغريه بما أريد.. فالأمر مثلًا يهدف إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين يتم فيه

(١) ينظر: الخطاب والحجاج: ١١.

(٢) ينظر: في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة: ٦١.

إقناع المخاطب، كما رأينا في النص سؤال الأصمعي للمازني يدل على توجيهه للإجابة عليه والتركيز على ما يريده، ومفاد ذلك هو الإقناع وأسلوب الاستفهام توجيه، وحين يجيب المازني ويبدأ بعالم شهير مثل سيبويه فهو يريد إقناع الأصمعي بما يقول فيعتبر دليله من دلائل السلطة، أي لها أصل في التراث حتى ينجز أثرًا في المخاطب، والفرزدق حينما يقول: "قوموا"، "امض بنا"، قوته الإنجازيَّة: إقناع الفرزدق لأصحابه، فهو يريد مجلس الحسن البصري، وهذا التصريح يوحي بأنهم قد يخالفون الفرزدق في الذهاب معه، لكثرتهم أو انشغالهم، ولكن حينما دعم كلامه بأن المجلس ليس أي مجلس وإنما مجلس الحسن البصري، ولا يؤتى إليه إلا لحاجة أو لطلب علم، وليس كمجالس الشعر أو غيرها، وأيضًا أخبرهم بالغرض المنشود في ذاك المجلس وهو طلاق النوار، وكل هذه الدلائل استدعاها الفرزدق للتأثير على المخاطبين، وتأمل الروابط الحِجاجيَّة إذا أدخلناها تفسيرًا لهذا الخطاب فكأنه يقول: لا تقوموا معي إلى مجلس غيره، وإنما قوموا معي إلى مجلس الحسن البصري. وهنا يتبادر إلى ذهننا سؤال: لماذا احتاج الأمر من الفرزدق إلى تدعيم حجته من جهتين اسم المجلس والغرض المنشود؟ الجواب: أنه مماثل لهم في الرتبة، وليس له عليهم سلطة كما هي سلطة الخليفة على الرعية، وحتى إنهم قالوا بعد أمره: "لا تفعل، لعل نفسك تتبعها وتندم"(١)، فلو كان له سلطة لما جادلوه في أمره.

والالتزاميات، غرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل، وشرطها أيضًا الإخلاص. فحين يلتزم المتكلم بأمرٍ ما أمام المخاطب فهو يقنعه بشيء كما في النص، فالفرزدق يبين للمخاطب أنه يريد الطلاق من النوار وهو ملتزم بذلك، لكي يقنع المخاطب للذهاب معه، والتعبيريات، غرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي للإنسان، على أن يكون صادقًا.

(١) المرجع السابق: ٨٨٢/٢.

كالشكر والتهنئة والاعتذار، والندم[١]، وقد رأينا ذلك في النص الأول: "فتبعَتْها نفسُه بعد ذلك وندم"، وقال الفرزدق: "يا هذا؛ إن في قلبي من النوار شيئًا"، وهذا يدل على تعبير نفسي خاص بالمتكلم، عبَّر عن ندمه إزاء ما يشعر به، وقد عبر راويته عن ذلك بقوله: "إني أخاف أن تتبعها نفسك ويشهد عليك الحسن وأصحابه"، والخوف من التعبيرات النفسية والاجتماعيَّة التي تتصل بوجدان المتكلم والمتلقي على حدٍّ سواء إذا كان هناك ما يدعو إلى ذلك، والخوف هو ابتعاد عن الطمأنينة والفزع والحذر، فالفعل الكلامي "إني أخاف" خوف أبي شفقل من هذه القضية وعبر عما يشعر به تجاهها.

وهذا يعده (أوستين) من أفعال السلوك[٢]، والأفعال الكلاميَّة تسهم بأدوار مختلفة في الإنجاز حسب الاستعمال، فيستعمل المتكلم أغلب أصناف الفعل التقريري، أو التوجيه، أو الالتزام، أو التعبيري، لتدعيم وتأكيد وجهة نظره، أو للتراجع عند اقتناعه بأنها لم تعد صالحة، أو للتنازل عن دعواه أو لتأسيس نتيجة[٣].

(١) ينظر: في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة : ٦٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ٦٢.

(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب (مقاربة تداولية): ٤٨٢.

خاتمة:

في ضوء ما سبق، يتضح دور الفعل الكلامي في معالجة النص التراثي، وقد فتح لنا بُعدًا آخر في توسيع آفاق البحث وإدراك خصائص الأفعال الكلامية، وما يدور حول النص كالسجل المعرفي، والافتراض المسبق، وأخلاقيات الفعل الكلامي، ووظيفته من خلال "نص الفرزدق أنموذجًا" الذي نجح في الاتصال بين المتحاورين، وأرجح أن الفرزدق ذهب لراويته لعدة أسباب: سهولة الاتصال بينهما، قربه منه، حفظه لأبيات ندامة الكسعي، نصحه وإرشاده، تقدمه على النص الآخر، وأكد هذا البحث على أن النص سيق لأمرين مهمين طلاق النوار، وندرة نقل المازني من الأصمعي، والسبب الحقيقي وراء ذلك هو اتهام الأصمعي له بالقَدَرية، والسياقات الأخرى لم تتعمق بذلك وإنما ذكرته على حسب ما يتطلبه المبحث والموضوع مثل: أخبار النساء، إكمال التهذيب في أسماء الرجال، بعض من أخبار الفرزدق..، وأخيرًا دراسة المقامات الداخليَّة والخارجيَّة وأنواع السياق والإلمام بها والتحليل على أسسها يجعل نتائج الباحث تميزها الدقة والأمانة والصواب، والحكم الأمثل والأصدق لنفي الشك والتربع على عرش اليقين دراسة السياق الآني، وهذا ما نادى به أصحاب هذه النظريَّة.

ثبت المصادر والمراجع

١- استراتيجيات الخطاب: مقاربة تداوليَّة، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط ١، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤م.

٢- آفاق التداوليَّة في النصوص النثرية، محمد عبد السلام الباز، تقديم: محمد العمروسي، ط١، دار النابغة للنشر والتوزيع، طنطا، ٢٠١٥م.

٣- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود بن أحمد نحلة، ط١، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٢م.

٤- الأمالي من الفوائد والأخبار، أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي، تحقيق: محمد البقاعي، ط ١، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٢١م.

٥- البُعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، قدور عمران، ط١، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٧م.

٦- البيان والتبيين، عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ه.

٧- التداوليَّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليَّة لظاهرة الأفعال الكلاميَّة في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، ط١، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٥م.

٨- التداوليَّة مقاصد وآداب، صبري إبراهيم السيد، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٩م.

٩- التداوليَّة من أوستين إلى فوغمان، فيليب بلانشية، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ٢٠٠٧م.

١٠- التداوليَّة والشعر، عبد الله بيرم، ط١، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠١٢م.

١١- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.

١٢- في البراجماتية، الأفعال الإنجازيَّة في العربية المعاصرة، علي محمود الصراف، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠م.

١٣- قاموس التداوليَّة، جوليان لونجي، جورج إليا سرفاتي، ترجمة: لطفي السيد منصور، ط١، الرافدين، بيروت، لبنان، ٢٠٢٠م.

١٤- القاموس الموسوعي التداولي، جاك موشلر، آن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف: عز الدين مجدوب، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م.

١٥- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد إبراهيم، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٦- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٨م.

١٧- مدخل إلى اللسانيات التداوليَّة، لجلالي دلاش، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٢م.

١٨- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.

١٩- معجم السيميائية، الجرداس جوليان قريماس، جوزيف كورتيس، ترجمة: أحمد الودرني، ط١، دار المتوسطية، تونس، ٢٠٢٠م.

٢٠- المقاربة التداوليَّة: أرمنكو فرانسواز، ترجمة: سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، سوريا، ١٩٩٧م.

٢١- النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان

دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠م.

٢٢- طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأسرار، ابن عبد ربه الأندلسي، مكتبة القرآن، القاهرة.

٢٣- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ.

٢٤- شرح مقامات الحريري، أبو عباس أحمد الشربيني، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.

٢٥- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، علاء الدين مغلطاي، تحقيق: محمد عثمان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١١م.

٢٦- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق: عبد الله محمود شحاتة، ط١، دار أحياء التراث، ١٤٢٣هـ.

٢٧- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، الأمير أبو نصر ابن ماكولا، صححه عبد الرحمن المعلمي اليماني، ط١، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٩٦١م، والجزء السابع صححه نايف العباس، دار النشر، محمد أمين دمج، بيروت.

٢٨- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، شمس الدين المعروف بسبط ابن الجوزي، تحقيق: محمد بركات، كانل محمد الخراط، عمار الجاروي، محمد رضوان، ط١، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، ٢٠١٣م.

٢٩- المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٤م.

٣٠- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٣١- التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، الحسن

محمد الحسن الصغاني، ستة أجزاء تحقيق: إبراهيم إسماعيل الأبياري، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٧م.

٣٢- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٣٣- لسان العرب، ابن منظور، الحواشي لليازجي وجماعة من اللغويين، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٣٤- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، تحقيق: التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

***